رثاء المدن والممالك

١) علّل. توسّع شعراء الأندلس في رثاء المدن والممالك حتّى أصبح عندهم غرضاً شعريّاً قائماً بذاته.

أو علّل. شهرة وازدهار وكثرة شعر رثاء المدن والممالك في الأندلس.

١ .بسبب حالة الضعف والانقسام والتفكّك التي شهدها الحكم الإسلاميّ إبان عصر ملوك الطوائف، والتقلّبات السياسيّة التي سادت ذلك العصر.

٢ .واشتداد المواجهة بين المسلمين وعدوهم، وما تبع ذلك من سقوط الحواضر الإسلاميّة مدينة تلو الأخرى، ثم سقوط الممالك والإمارات الأندلسيّة، وانتهاءً بسقوط الأندلس كاملة.

فكثر نظم الشّعراء في هذه الموضوعات.

٣ .وقد واكب الشعر الأندلسيّ هذه الأحوال، فجادت قرائح الشّعراء بقصائد طوال تنبئ عن حسرة وألم شديدين على مدن ذاهبة، وممالك زائلة؛ حتى غدا رثاء المدن والممالك غرضًا شعريًّا قائمًا بذاته.

٢) اذكر مظاهر شعر رثاء المدن والممالك.

١ .تصوير ما حلّ بالمدن من خراب ودمار، وما نزل بأهلها من كرب وضيق.

يقول ابن خَفاجَةَ في رثاء مدينته الجميلة (بَلَنْسِية) التي سقطت عام ٤٨٨هـ:

عاثَتْ بِسَاحَتِكِ العِدا يا دارُ وَمَحَا مَحاسِنَك البِلِى وَالنَّارُ

وَإِذَا تَرَدَّدَ في جَنابِكَ ناظِرٌ طَالَ اعْتِبارٌ فِيكَ واسْتِعْبَارُ

أَرْضٌ تَقَاذَفَتْ الخُطُوبُ بَأَهْلِها وَتَمَخَّضَتْ بِخَرَابِها الأَقْدَارُ

كَتَبَتْ يَدُ الحَدَثَانِ فِي عَرَصاتِها لاَ أَنْتِ أَنْتِ وَلا الدِّارُ دِيَارُ

٢ .الموازنة بين ماضي المدن وحاضرها.

يقول ابن اللَّبّانة في رثاء دولة بني عَبّاد في (إِشْبِيلْيَة) مقارنًا بين حال المدينة أيام حكم المُعْتَمِد بن عَبّاد وبعد سقوطها:

تَبْكِي السَّماءُ بمُزْنٍ رائعٍ غادٍ عَلَى البَهالِيلِ مِنْ أَبْنَاءِ عَبَّادِ

عَلَى الْجِبالِ الَّتِي هُدَّتْ قَواعِدُها وَكانَتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ذاتَ أَوْتَادِ

وَكَعْبَةٌ كَانَتِ الآمالُ تَعْمُرُها فَاليَومَ لا عاكِفٌ فيها ولا بادِ

يا ضيفُ أَقْفَرَ بَيْتُ المَكْرُماتِ فَخُذْ فِي ضَمَّ رَحْلِكَ وَاجمَعْ فُضْلَةَ الزَّادِ

٣ .ذكْر أسباب الهزيمة من ضعف المسلمين وانقسامهم، وابتعادهم عن تعاليم الدين الحنيف.

يقول ابن الجدّ في وصف ما آل إليه حال ملوك الطوائف بسبب سوء تدبيرهم:

أَرى المُلْوكَ أَصَابَتْهُمْ بِأَنْدَلُسٍ دَوائِرُ السّوءِ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ

ناموا وَأَسْرِى لَهُمْ تَحْتَ الدُجى قَدَرٌ هَوى بِأَنْجُمِهِمْ خَسْفًا فَما شَعَروا

٤ . الاستنجاد بالمسلمين واستنهاض هممهم ودعوتهم إلى نصرة إخوانهم.

يقول ابن الأَبَّار القُضاعِيّ بعد سقوط مدينة (بَلَنْسِيَة)، وقد أرسل إلى أبي زكريا بن حفص سلطان تونس مستنجدًا لنصرة الأندلس:

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللهِ أَنْدَلُسا إنَّ السَّيلَ إلى مَنْجاتِها دَرَسا

وهَبْ لها مِنْ عزيزِ النّصرِ ما التَّمَسَتْ فلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النّصرِ مُلْتَمَسا

٣) علّل. نونيّة أبي البقاء الرَّنْدِيْ أشهر ما قيل في رثاء المدن والممالك في الأندلس.

لأنّها لا ترثي مدينة بعينها كالنماذج السابقة، بل ترثي الأندلس في مجموعها مدنًا وممالك، وتعبّر عن تجربة حقيقيّة عاشها الشاعر، وبدأها بحكمة عامّة، ثم صوّر ما حلّ بالأندلس من خطوب جليلة لا عزاء فيها ولا تأسٍّ دونها، يقول في نونيّته:

لِكلّ شَيْءٍ إذا ما تمَّ نُقْصانُ فلا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إنْسانُ

هِيَ الأُمورُ كَما شاهَدْتَهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمِنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

وهذهِ الدّارُ لا تُبْقِي على أَحَدٍ ولا يدومُ على حالٍ لها شانُ

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْواعٌ مُنَوَّعَةٌ وللزَّمانِ مَسرّاتٌ وأحزانُ

وَلِلْحوادِثِ سُلوانٌ يُسَهِّلُها وما لما حَلَّ بالإسلامِ سُلْوانُ

تلكَ المصيبةُ أَنْسَتْ ما تَقَدّمها وما لها مَعَ طولَ الدَّهْرِ نسيانُ

يا مَنْ لِذَلَّةِ قَومٍ بعدَ عَزَّهِمُ أحالَ حالهُمُ جَوْرٌ وطُغيانُ

٤) اذكر ثلاثة شعراء قاموا برثاء المدن والممالك.

-ابن خَفاجَةَ في رثاء مدينته الجميلة (بَلَنْسِيةٍ).

-ابن اللَّبّانَة في رثاء دولة بني عَبّاد في (إِشْبِيلْيَة).

-أبو البَقاء الرَّنْدِيّ في رثاء الأندلس.

٥) اذكر الخصائص الفنية لشعر رثاء المدن والممالك.

١ .يتّصف بحرارة العاطفة وعمق الشعور بالأسى والحزن عند الحديث عمّا حلّ بالمدن والموازنة بين ماضيها وحاضرها.

٢ .تغلب عليه النزعة الدّينيّة والحكمة النابعة من التجارب المريرة، ويتجلّى ذلك في أبيات أبي البقاء الرنديّ حين يتحدث بحكمة عن تداول الأيّام وتبدّل الحال وتقلّب الزّمان.

٣ .يكثر من استخدام أساليب الإنشاء الطلبيّ، مثل: النداء، والاستفهام للتحسر والتفجّع.

✓ أسئلة الكتاب:

١ . وضّح أبرز مظاهر شعر رثاء المدن والممالك.

١ .تصوير ما حلّ بالمدن من خراب ودمار، وما نزل بأهلها من كرب وضيق.

٢ .الموازنة بين ماضي المدن وحاضرها.

٣ .ذكْر أسباب الهزيمة من ضعف المسلمين وانقسامهم، وابتعادهم عن تعاليم الدين الحنيف.

٤ .الاستنجاد بالمسلمين واستنهاض هممهم ودعوتهم إلى نصرة إخوانهم.

٢ . علّل ما يأتي:

أ - توسّع شعراء الأندلسيّ في رثاء المدن والممالك حتى أصبح غرضًا شعريًّا قائمًا بذاته.

١ .بسبب حالة الضعف والانقسام والتفكّك التي شهدها الحكم الإسلاميّ إبان عصر ملوك الطوائف، والتقلبات السياسيّة التي سادت ذلك العصر.

٢ .واشتداد المواجهة بين المسلمين وعدوهم، وما تبع ذلك من سقوط الحواضر الإسلاميّة مدينة تلو الأخرى، ثم سقوط الممالك والإمارات الأندلسيّة، وانتهاءً بسقوط الأندلس كاملة.

فكثر نظم الشّعراء في هذه الموضوعات.

٣ .وقد واكب الشعر الأندلسيّ هذه الأحوال، فجادت قرائح الشّعراء بقصائد طوال تنبئ عن حسرة وألم شديدين على مدن ذاهبة، وممالك زائلة؛ حتى غدا رثاء المدن والممالك غرضًا شعريًّا قائمًا بذاته.

ب - يتّصف شعر رثاء المدن والممالك بحرارة العاطفة.

لأنّ الشّاعر صادق فيما يقول، فهو لا يتصنّع ولا يتكسّب، بل يصوّر واقعاً مؤلماً لا مكان للتكلّف فيه، ويعبّر عن مشاعره تجاه ما حلّ بالمدن وأهلها، فجاءت معظم القصائد حزينة باكية شجيّة.

٣ .وازن بين حال مدينة إشبيلية أيام حُكْم المعتمد بن عبّاد وبعد سقوطها، كما بيّنها الشاعر ابن اللَّبَّانة.

كانت إشبيلية شامخة عزيزة يقصدها الزوّار لتحقيق آمالهم وطموحاتهم، وكانت محطّاً للكرم والكرماء. أمّا بعد سقوطها فقد أقفرت من الزوار، وخلت من الكرماء، فأصبح الضيف يقتات من بقايا الطّعام.

٤ .يقول ابن عبدون (ذو الوزارتين) في رثاء دولة بني المُظَفَّر في (بَطَلْيُوس):

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ العَيْنِ بِالأَثَرِ فَما البُكاءُ عَلَى الأَشْباحِ وَالصُّورِ

فَالدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبْدِى مُسالَمَةً وَالسُّودُ وَالبِيضُ مِثْلُ البِيضِ وَالسُّمُرِ

بَنِي المُظَفَّرِ وَالأَيَّامُ ما بَرِحَتْ مَراحِلٌ وَالوَرِى مِنْهَا عَلَى سَفَرِ

أين الإباء الّذي أرسوا قواعده على دعائم من عزّ ومن ظفر

أَيْنَ الوَفاءُ الّذِي أَضفَوا شَرائِعَهُ فَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى كَدَرِ

كانوا رَواسِيَ أَرْضِ اللهِ مُذْ نَأَوا عَنْهَا اسْتَطَارَتْ بِمَنْ فِيهَا وَلَمْ تَقْرِ

بعد إنعام النظر في النّصّ السابق أجب عما يأتي:

أ- استنتج المظهر الذي يمثّله النّصّ.

الموازنة بين ماضي المدن وحاضرها، وذكر أسباب الهزيمة.

ب- مثل من النّصّ على ما يأتي:

١ .توظيف الحكمة:

فَالدَّهْرُ حَرْبٌ وَإِنْ أَبْدِى مُسالَمَةً

٢ .حرارة العاطفة وعمق الشعور بالأسى والحزن:

الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ العَيْنِ بِالأَثَرِ فَما البُكاءُ عَلَى الأَشْباحِ وَالصُّورِ

٥ -اشتهرت قصيدة أبي البقاء الرّنديّ في رثاء المدن والممالك أكثر من غيرها، بيّن سبب ذلك.

لأنّها لا ترثي مدينة بعينها كالنماذج السابقة، بل ترثي الأندلس في مجموعها مدنًا وممالك، وتعبّر عن تجربة حقيقيّة عاشها الشاعر، وبدأها بحكمة عامة، ثم صوّر ما حلّ بالأندلس من خطوب جليلة لا عزاء فيها ولا تأسّ دونها.